نظم قصيدة في الموضوع . وكانت أعماقي تحتج وترفض وتتمرد . . . كيف يريدون مني كتابة الشعر السياسي وانا سجينة الجدران ؟ من اين أستمد مادة الشعر ؟ أمن مطالعة الصحف ؟ . . . ان المطالعة ــ على اهميتها ــ غير كافية لانبعاث جذوة الشعر ، والشاعر لا يستطيع ان يكتب عن الحياة والعالم من حوله قبل ان يعرفها معرفة مباشرة . انني حبيسة الجدران والتقاليد ، لا أحضر مجالس الرجال ولا أسمع المناقشات الجادة ولا اشارك في معمعة الحياة . فكيف يطالبني ابي بالكتابة في موضوع لا تفقهه سني ولا له اية علاقــة او صلة بالحركة النفسية في داخلي . كان تيار الحياة النفسية عندي مغايرا ومختلفا اختلافا تاما عن التيار الذي أراد ابي ان يحملني على الانسياق معه . وأصبت بمرض بغض السياسة . وأصاب العطب حسي السياسي لسنوات طويلة » .

وكما أصيبت الشاعرة بمرض بغض السياسة بسبب عامل تربوي محض ، كذلك كان الامر وراء اصابتها بمرض الحزن .

تواصل فدوى حديثها ، وحديثها هنا له مغزى هام : « توفي والدي اثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . وحصلت المأساة . ورحت اكتب الشعر الوطني تلقائيا ، كانت مادته كلها مستمدة من المأساة . رحت اكتب هذا اللون من الشعر دون اكراه او الزام . ومع تجمد الاوضاع وتجمد القضية الفلسطينية ، بدأ يتجمد احساسي بهما ، وخرجت الى الحياة أعب منها والمسها بأصابعي ، واكتب الشعر عن الحب والحياة حتى فجعت بموت شقيقي نمر الذي كان حبيبا لي وصديقا ، فتوقفت الا عن الكتابة عن الموت ، وأصابني ذهول وهبوط نفسي واعتزلت عن الناس ، وكرهت الحياة » .

اذن ، لم تكن الشاعرة فدوى طوقان الا ردود فعل عفويــة للواقع الخارجي بحدوده الضيقة . ولقد تشكلت بحكم ردود الفعل هذه تجربة شعرية عفوية ايضا ، وموقف من العالم عفوي . وليس من الصعوبة ان يتكشف القارىء مدى المغالطــة ، والارتباك الفكري ، في حديث فدوى هذا . فهي تفصل ، بعفوية امرأة غير مسؤولة ، ولكن مطالبة ، الوطن عن الشعر الوطني ، والوطن عن السياسة ، والسياسة عن الموقف الانساني من العالم والانسان . وهي تقول في يومية اخرى ببساطة : « حين أصغي الى فيروز في فلسطينياتها ارى بلادي اجمل واحلى مما هي ، واحبها اكثر مما كنت أحبها ، واحس بفجيعة فقدها كما لم أحس من قبل ، واتذوق طعم الانتماء الى شيء ولو كان هذا الشيء ناقصا » . تتحدث كذلك ، كمن يحمد الله على وجود فيروز .

انها باختصار كما جاء في آخر يومياتها : « انا نفسي قصيدة ملتاعة ، كئيبة ، آملة ، تتطلع الى ما وراء الافق » ، وهذا التطلع قد رافق ، تماما ، الشاعــرة منذ قصيدتها الاولى ، ومجموعتها الاولى ، حتى الان . الا اذا استثنينا بعض القصائد القليلة الاخيرة في « الليل والفرسان » ، استطاعت فيها فدوى بحدود ضيقة أن تخرج من ثوبها القديم .

(٣)

« ما يلفت النظر في محمود درويش بالاضافة الى موهبته الطاغية والتزامه الذي رد الاعتبار لقيمة الالتزام كقيمة تغني العمل الفني ولا تفسده ، سرعة تطوره التي تشبه ضربة عصا سحرية ، ندر ان حدث مثلها لدى اي شاعر معروف »(٣) . لا تبدو هذه الكلمة التي كتبها غسان كنفاني في بداية حديثه عن الشاعر محمود درويش ، متطرفة ، اذا ما قيست بتطور الشاعرة فدوى طوقان . فهي منذ بداية الخمسينات ، وعبــر خمس مجموعات شعرية كبيرة ، لم تستطع أن تحدث ما أحدثه غيرها من الشعراء ، من جيلها

---

٣ ــ مجلة **الآداب** ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٩ ، السنة السابعة عشرة : غسان كنفاني « محمود درويش قفزتان في عشر سنوات » .